مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-016-001-007

بين السلطة والمعرفة:
قراءة إبستيمولوجية في تدوين تاريخ الدولة الحمّادية.
"Between Power and Knowledge: An Epistemological Study of the Historiography of the Hammadid State"

اسم ولقب المؤلف المرسل: مريم رعد - Mérièm Raad صص137- 160
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه- مخبر التاريخ المحلّي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة- كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة البويرة- البويرة- الجزائر.
البريد الإلكتروني: m.raad@univ-bouira.dz
اسم ولقب المؤلف الثاني: مصطفى سعداوي- Mustapha Sadaoui
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- مخبر التاريخ المحلّي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة- جامعة البويرة- البويرة 10000- الجزائر/**البريد الإلكتروني:** salisada@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2025/12/06. تاريخ المراجعة: 2026/01/15.. تاريخ القبول: 2026/03/19.

الملخص: تتناول هذه الدراسة علاقة الإيديولوجيا بالفضاء المعرفي في كتابة تاريخ تأسيس دولة بني حمّاد بالمغرب الأوسط خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، من خلال تحليل الخطابات التاريخية المتعارضة بين روايات البلاط الزيري والمصادر الحمّادية المتأخرة. تهدف إلى الكشف عن أثر الصراعات السياسية والمذهبية في تشكيل الوعي التاريخي وإنتاج ما يسميه ميشال فوكو «نظام الحقيقة»، مستعينة بمفهوم «السلطة الرمزية» عند بيير بورديو لتفسير آليات الهيمنة داخل الحقل التاريخي.

اعتمدت الدراسة منهجاً تحليليّاً مقارناً لنصوص المؤرّخين الّذين كتبوا تاريخ صنهاجة الشمال كابن الأثير، النويري، ابن عذارى، ابن الخطيب، وابن خلدون. وتخلص إلى أنّ تهميش تاريخ الدولة الحمّادية لم يكن اعتباطياً، بل نتاجاً لبنية معرفية إقصائية صاغتها السلطة البادیسية. ومن ثمّ،

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تدعو إلى قراءة إبستيمية جديدة تعيد للتاريخ المغاربي بعده النقدي، وتكشف تداخلات الذاكرة والسلطة والمعرفة في كتابة الماضي.

الكلمات المفتاحية: الإيديولوجيا -المعرفة التاريخية -دولة بني حمّاد - السلطة الرمزية - نظام الحقيقة.

ABSTRACT : *This study investigates the relationship between ideology and the cognitive space in the historiography of the foundation of the Hammadid State in the Central Maghreb during the 5th century of the Hegira /11th century of the Christian era... It analyzes the divergent historical discourses between the Zirid court narratives and later Hammadid sources. The aim is to uncover how political and doctrinal conflicts shaped historical consciousness and produced what Michel Foucault calls the "regime of truth," while drawing on Pierre Bourdieu's concept of "symbolic power" to explain mechanisms of domination within the historical field.*

The study adopts an analytical and comparative approach applied to the writings of historians such as Ibn al-Athir, al-Nuwayri, Ibn Idhari, al-Raqiq al-Qayrawani, Ibn Khaldun, and Ibn al-Khatib, alongside the unique Hammadid source by Ibn Hammad al-Sanhaji. It concludes that the marginalization of Hammadid history was not accidental but rather the result of an exclusionary cognitive structure shaped by Zirid authority. Consequently, it calls for a renewed epistemic reading of Maghrebi history that restores its critical dimension and exposes the intertwined relations between memory, power, and knowledge in the writing of the past.

Keywords: *Ideology - Historical knowledge - Hammadid State - Symbolic power - Regime of truth*

المقدمة: يحتلّ تأسيس دولة بني حمّاد (405هـ/1015م) مكانة محورية في تاريخ المغرب الأوسط، إذ مثّل لحظة انتقالية في تشكيل الخريطة السياسية والمذهبية للمغرب الأوسط بعد تراجع نفوذ الفاطميين وظهور الكيانات المحلية المستقلة. فقد كانت هذه الدولة ثاني كيان بربري يتبنّى المذهب السنّي ببلاد المغرب الإسلامي، في منطقةٍ كانت تتنازعها المذاهب المعارضة (الإباضية، المعتزلة، الزيدية، الإسماعيلية)، وهو ما يجعلها نموذجاً فريداً لتفاعل الدين والسياسة والهوية في مرحلة ما بعد الفاطميين. ومع ذلك، ظلّ تاريخها في أغلب الكتابات التاريخية، هامشياً ومبتوراً، لا يظهر إلا بوصفه حركة انفصالية عن الدولة الزيرية بإفريقية التابعة للخلافة الفاطمية بالقاهرة، وهو تهميش يطرح أسئلة عميقة حول خلفيات إنتاج المعرفة التاريخية في تلك المرحلة.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

حين نقرأ المصادر الكلاسيكية التي تناولت تاريخ صنهاجة الشمال، نلاحظ أنّها دوّنت تاريخها انطلاقاً من موقع السلطة البادیسية، فصوّرت الدولة الحمّادية باعتبارها تمرّداً سياسياً، ولم تمنحها الاعتراف الكامل كدولة ذات شرعية مستقلة. ويعود ذلك إلى ما يمكن تسميته "بتحيّز التدوين"، أي خضوع عملية كتابة التاريخ لهيمنة الجماعات السياسية الحاكمة، التي مارست سلطةً رمزية على المؤرّخين، فشكّلت إدراكهم لما هو جدير بالتأريخ ولما ينبغي إقصاؤه أو إسقاطه من الذاكرة التاريخية.

من هنا تنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية مفادها أنّ كتابة تاريخ دولة بني حمّاد ليست مجرد عملية وصفية، بل هي نتاج فضاء معرفي محكوم بمنظومة سلطوية-مذهبية، حيث تُنتج الحقيقة داخل بنية من الخطابات المتنافسة، كما يشير فوكو. والمؤرخ، في هذا السياق، لا يكتب في فراغ، بل يدوّن ضمن شروط إنتاج معرفي تحدّدها مؤسسات السلطة وأعراف الحقل الفكري في زمنه. وهذا ما يجعل إعادة قراءة النصوص التاريخية ضرورةً إبستيمية، لاكتشاف كيف تمّ بناء سرديات الماضي، وكيف تحوّلت الانتماءات المذهبية والولاءات القبلية إلى أدوات لإعادة إنتاج الشرعية عبر التاريخ.

تسعى الدراسة، إذن، إلى الإجابة عن سؤال مركزي: كيف وجّهت الإيديولوجيا المذهبية والسياسية عملية كتابة تاريخ تأسيس دولة بني حمّاد؟ ويتفرّع عنه عديد من التساؤلات الثانوية:

- ما طبيعة العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة المعرفية في الغرب الإسلامي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين؟
- كيف تشكّلت سرديات متناقضة حول شخصية حمّاد بن بلكين بين المصادر المشرقية والمصادر المغربية المتأخّرة؟
- هل يمكن إعادة بناء صورة موضوعية لتاريخ الدولة الحمّادية بعيداً عن إسقاطات تلك الصراعات؟

تعتمد هذه الدراسة منهجاً تاريخياً نقدياً مقارناً يقوم على ثلاثة محاور متكاملة:

- تحليل النصوص التاريخية وفق منهج نقد المصادر ومقارنة الروايات المتعارضة، للكشف عن مواضع التلاعب والتوجيه الإيديولوجي.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

- تأويل الخطاب التاريخي في ضوء مفاهيم فوكو حول السلطة والمعرفة، لفهم كيف تُنتج الحقيقة داخل منظومات الهيمنة.
- تطبيق أدوات التحليل السوسيولوجي كما بلورها بورديو، لتفكيك الحقل التاريخي كمجال للصراع الرمزي بين الفاعلين (المؤرخ، الحاكم السياسي، رجل العلم الشرعي).

إنّ الهدف من هذه المقاربة ليس إعادة سرد تاريخ دولة بني حمّاد فحسب، بل مساءلة أسس هذا التاريخ، واستكشاف حدود الموضوعية التاريخية في بيئةٍ مثقلة بالخلافات المذهبية والولاءات السياسية والانتماءات الأسرية. فالمؤرخ الزيري، مثل الرقيق القيرواني أو ابن شدّاد الصنهاجي، كان يكتب تحت تأثير ما سمّاه فوكو بـ«إرادة الحقيقة»، أي الرغبة في صياغة الماضي بما يخدم حاضر السلطة الموّالي لها، بينما كان المؤرخ الحمّادي- وإن كان أكثر تحرّراً- محكوماً بدوره بذاكرة جماعية تسعى إلى ترميم الذات وتبرير الشرعية.

بهذا المعنى، يصبح تاريخ بني حمّاد حالة نموذجية لدراسة كيفية تداخل السياسي والمذهبي في إنتاج المعرفة التاريخية بالغرب الإسلامي. فليس المهم ما حدث فعلاً، بل كيف كُتب، ولماذا كُتب على ذلك النحو. ومن هنا تتجلّى أهمية إعادة تفكيك هذا التاريخ، لا لاستعادة سردية مضادّة، بل لبناء معرفة نقدية تتجاوز حدود الإيديولوجيا، وتعيد الاعتبار للتاريخ بوصفه مجالاً للصراع المعرفي أكثر منه مجرد توثيق للوقائع.

1- **1- مدخل منهجي: إشكالية غياب التدوين المباشر لدولة بني حمّاد:** توّاجه دراسة تاريخ دولة بني حمّاد إشكالًا معرفيًا مزدوجًا، يتمثّل من جهة في ندرة المادّة المصدرية الأصلية التي أرّخت مباشرة لهذه الدولة، ومن جهة أخرى في هيمنة روايات خصومها السياسيين على عملية التدوين التاريخي في الغرب الإسلامي. إذ لا توجد مؤلفات معاصرة زمن التأسيس كتبت عن الدولة الحمّادية بوصفها كيانًا سياسيًا مستقلًا، باستثناء بعض الشذرات الواردة في كتابات لاحقة ومتفرقة. وحتى المؤرخون الذين خصّوا صنهاجة الشمال بكتابات موسّعة – مثل ابن عذارى في البيان المغرب، والنويري في نهاية الأرب، وابن الأثير في الكامل في التاريخ – فإنّهم لم يمنحوا دولة بني حمّاد سوى مساحة محدودة من السرد، محصورة غالبًا في سياق تبعيتها للسلطة الزيرية. وبهذا، فقد تحكمت في سرد تاريخها ثلاث قوى أساسية:

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

1- السلطة السياسية الزيرية ذات النزعة البادیسية التي أرادت حصر التاريخ الصنهاجي في دولة باديس بن المنصور وخلفائه من بعده .

2- المؤرّخون المشرقيون الّذين اعتمدوا في الغالب على روايات البلاط الزيري دون مراجعة نقدية.

3- المؤرّخون المتأخرون من أبناء البيئة الحمّادية الّذين سعوا إلى ترميم الصورة التاريخية لدولتهم، لكنّهم ظلّوا بدورهم أسرى سرديات الدفاع عن الذات.

من هنا، تنطلق هذه الدراسة من وعيٍ إبستيمولوجي بضرورة التعامل مع النّصوص لا بوصفها شواهد محايدة، بل خطابات سلطوية تُنتج ضمن شروط اجتماعية وسياسية محددة. ويقتضي هذا المنظور اعتماد مقاربة مزدوجة: تحليل النص في بعده الدلالي والتاريخي، ثم تفكيك السياق الذي أفرزه، للكشف عمّا يسميه فوكو بـ«المسكوت عنه في الخطاب»، أي ما أُقصي من مجال القول بفعل السلطة أو الخوف أو الولاء.

1-1 المصادر الأساسية وتنوع خلفياتها:

أ. المصدر الحمّادي: ابن حمّاد الصنهاجي: يُعتبر ابن حمّاد الصنهاجي (ت 628هـ/1231م)[1] المؤرخ الحمّادي الوحيد الّذي نقلت عنه المصادر المغربية المتأخّرة أخبارًا عن الدولة. ورغم ضياع مؤلّفه الأصلي " النبذ المحتاجة "، فإن إشارات متكررة إليه في كتابات *ابن خلدون* و*ابن الخطيب*[2] تؤكد أنه شكّل المرجع الأهم في نقل ذاكرة الأسرة الحمّادية[1] من الرواية الشفوية إلى التدوين.

[1] أبو عبد الله محمد بن عليّ بن حمّاد (حمادو) بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، سليل العائلة الحمّادية بالقلعة، أجمعت المصادر الّتي ترجمت له على تضلّعه في علوم القرءان والفقه والحديث، وعلوم الأدب شعرا ونثرا، وكتابة الأخبار. ينظر ترجمته عند: ابن الأبّار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ط1، تح عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1415/ 1995، ج2، ص 166، ابن عبد الملك أبو عبد الله محمّد بن محمّد المرّاكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ط1، تح: إحسان عبّاس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، 2012، م5، ص215، الغبريني أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص 218.

[2] ابن الخطيب أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من شجون الكلام، ط1، تح: سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص-ص 322، 332، ابن خلدون أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، 1421/ 2000، ج6، ص-ص 235، 324.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

يتميّز هذا المصدر بكونه من داخل البيت الحاكم، ما يمنحه مصداقيةً في الاطلاع على الأحداث، لكنه في المقابل يفتقد للحياد لأنه مشبع بروح الدفاع عن الذات الحمّادية، ومشحون بالرغبة في تبرير شرعية الانفصال عن الدولة الزيرية. وبالتالي فهو مصدرٌ «ذاتي» يعبّر عن رؤية داخلية للحدث التاريخي، تسعى إلى إعادة بناء الماضي بما يخدم الهوّية السياسية للأسرة.

ب. المصادر الزيرية الرّسمية: في مقدّمتها كتابات الرّقيق القيرواني (ت 420هـ/1029م)[2] في تاريخ إفريقية والمغرب، وابن شدّاد الصنهاجي (حيًّا سنة 600هـ/1230م)[3] في الجمع والبيان. كلاهما ينتمي إلى محيط البلاط الزيري، ويكتب تحت رعاية السلطة التي تمثل «المركز» في مقابل «الانفصال الحمّادي». لذلك تتسم هذه المصادر بـ التحيّز الواضح ضدّ حمّاد بن بلكين، إذ تصفه بالمتمرّد الخارج عن الطاعة، وبالناكر لجميل ابن أخيه باديس. كما تمارس هذه النصوص نوعًا من «القمع المعرفي»، من خلال تغييب الوقائع التي تضعف شرعية الدولة الزيرية أو تُظهر بني حمّاد بمظهر الندّ السياسي والفكري.

ج. المصادر المشرقية: تتجلى في كتابات ابن الأثير (ت 630هـ/ 1233م)، في الكامل في التاريخ، والنويري (ت 733هـ/ 1333م) في نهاية الأرب، وأبو الفداء (ت 732هـ/ 1333م) في المختصر في أخبار البشر. هذه المصادر، رغم بعدها الجغرافي، لم تخرج عن إطار الرواية الزيرية، إذ

---

1 حول هذا المؤرّخ وكتابته عن الحمّاديّن، ينظر: مريم رعد، مساهمة ابن حمّاد الصنهاجي في كتابة التاريخ الحمّادي، م2، مجلّة العمران البشري، مخبر التاريخ المحلّي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة، جامعة البويرة، 2(2022)، ص-ص 21-23.

2 هو أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، يعرف بالرّقيق القيرواني تولى الرّقيق الكتابة الخاصّة لثلاثة أمراء صنهاجيين: المنصور (374 - 386 هـ/ 984 – 986 م) وباديس (386 – 406 هـ/ 996 – 1016 م)، والمعّز بداية من (406 هـ / 1016م) وذلك بناء على ما ذكره معاصره ابن رشيق عنه « كاتب الحضرة منذ نيف وعشرين سنة إلى الآن »، يعني أنّ الرقيق كان كاتب الدولة والمؤرخ الرسمي للأمراء الزيريين حتّى وفاته في عهد المعّز. ينظر ترجمته عند: ابن رشيق أبو الحسن علي بن الحسن القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ط1، تح: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية، تونس، 1406/ 1986، ص 55، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، ط1، تح إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج1، ص 97، محفوظ محمّد، تراجم المؤلفين التونسيين، ط 1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج2، ص 379، وأهمّ ما كتب حول هذا المؤرّخ الدراسة الأخيرة الّتي أنجزها: الدكتور علاوة عمارة، الرّقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرّخين المغاربة، الرباط، 25(2003)، ص 117- 126.

3 هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس يرتفع نسبه إلى الأسرة الباديسية بإفريقية، نشأ بالمهدية واستوطن دمشق وفيها دخل في خدمة السلطان صلاح الدّين الأيّوبي (532 – 589 هـ/ 1138 – 1193م)، وصار من أمراء جيشه، ينظر حوله الدراسة القيّمة للأستاذ الباحث: علاوة عمارة، ابن شدّاد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الأوسط، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرّخين المغاربة، الرباط، 21(2002)، ص-ص 67- 96.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

اعتمدت بشكلٍ واسع على نصوص ابن شدّاد[1]. وغالبًا ما تتبنى وجهة النظر نفسها التي تَصِف الدولة الحمّادية بأنها تمرّدٌ إداري لا يتجاوز حدّ العصيان المؤقت.

د. المصادر المغربية المتأخرة: من أبرزها: ابن عذارى (حيّا سنة 712هـ/ 1312م)، في البيان المغرب، الّذي نقل لنا نصوص الرّقيق القيرواني، أهمّ مصدر زيري مفقود[2]، وتبنّى نظرة مؤرّخ البلاط في اِعتبارها حركة انفصالية عن دولة باديس. ابن الخطيب (ت 776هـ/ 1376م)، في أعمال الأعلام، وابن خلدون (ت808هـ/1405م) في العبر وديوان المبتدأ والخبر. هذان المؤرّخان قاما بمحاولة مراجعة جزئية لتلك السرديات، لكنّهما ظلاّ يعتمدان على روايات سابقة دون تحققٍ شامل من مصداقيتها. ومع ذلك، فإنّهما الوحيدان من بين المصادر أعلنا بوضوح أنّ دولة بني حمّاد كانت دولةً قائمة بذاتها، لا مجرد ولاية تابعة، وهو ما يجعل نصوصهما نقطة تحوّل في تمثيلها التاريخي.

2-1 منهجية الدراسة: من نقد المصادر إلى تحليل الخطاب: تتبنّى هذه الدراسة مقاربة إبستيمية-نقدية تستلهم أدواتها من الحقلين التاريخي والسوسيولوجي، وتنفتح على التحليل الفوكوي للخطاب. وتتوزع خطواتها المنهجية على المستويات التالية:

أ. النقد الداخلي والخارجي للمصادر: تمّت قراءة النصوص التاريخية في ضوء شروط إنتاجها، من حيث هوية المؤلف، وانتمائه المذهبي والسياسي، والجهة الراعية لكتابته. وسياق تدوين نصّه، فالنّصوص ليست مجرّد أوعية للحقائق، بل منتجات خطابية تُعبّر عن توازنات القوة داخل المجتمع. يتيح هذا النقد التفريق بين مستويات الخطاب الثلاثة:

---

1 صرّح كلّ من النويري وأبو الفداء بنقلهما من كتاب" الجمع والبيان" لابن شدّاد. ينظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود، المختصر في أخبار البشر، ط1، علّق عليه ووضع حواشيه: محمّد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424/ 1997، ج1، ص-ص 12، 476، النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ج24، ص 86. أمّا ابن الأثير مع أنّه لم يصرّح بالنقل عنه؛ لأنّ ابن الأثير لا يشير إلى مصادره في أغلب الأحيان، ماعدا إشارته إلى الطبري والواقدي، إلاّ أنّ نصوصه لا تختلف بعد مقارنتها عمّا هو موجود عند النويري. ينظر: ابن الأثير علي بن محمّد بن عبد الكريم الجزري، الكامل في التاريخ، ط1، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407/ 1987، م1، مصطفى بن يحي، محمّد بوشنافي، الغرب الإسلامي عند ابن الأثير في كتابه " الكامل في التاريخ": دراسة في المصادر والمنهج، مجلّة عصور الجديدة، م10، جامعة وهران01، 4(2020)، ص 81.

2 صرّح في عدّة نصوص بنقله عنه واعتماده كلّيا في تدوين أخبار الدولة الزيرية في الفترة محلّ الدراسة. ينظر: ابن عذارى أبو العبّاس أحمد المرّاكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تح جون كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج1، ص-ص 2، 266، 270، 272.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

1. الخطاب الرسمي الزيري الذي يمارس إقصاءً متعمّدًا.
2. الخطاب الحمّادي الذي يسعى إلى التبرير.
3. الخطاب الوسيط الذي يحاول التوفيق بينهما (مثل ابن خلدون).

ب. التحليل المقارن للروايات المتعارضة: اعتمدت الدراسة على المقارنة الدقيقة بين نصوص متعددة حول نفس الحدث (تعيين حمّاد على ولاية المغرب الأوسط، بناء القلعة، الانفصال، الصلح)، لتحديد التناقضات والتلاعبات السردية، ثم تفسيرها في ضوء الخلفية الإيديولوجية لكل مؤلف وظرفيّات التدوين. هذا الأسلوب يسمح بالتمييز بين التاريخ كوقائع والتاريخ كخطاب، أي بين الحدث كما وقع والحدث كما رُوي.

ج. توظيف مفاهيم فوكو وبورديو:

*م. **فوكو** (M. Foucault)، أُستعير مفهوم السلطة والمعرفة وإرادة الحقيقة[1]، للكشف عن الآليات التي تحكم إنتاج المعرفة التاريخية، وكيف تمارس السلطة هيمنتها على الخطاب من خلال ما يُقال وما يُسكت عنه.

*ومن **بورديو** (P. Bourdieu)، أُستُخدم مفهوم السلطة الرمزية والحقل المعرفي[2]، لتحليل موقع المؤرخ داخل بنية الصراع الرمزي بين القوى السياسية والمذهبية، بوصفه فاعلاً اجتماعيًا يخضع بدوره لهيمنة القيم السائدة.

---

1 يقدّم الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو طرحا مختلفا للسلطة، يرتبط بما يسمّيه " إرادة الحقيقة"، وهو نظام تاريخي للسلطة والمعرفة، يرتبط بإنتاج السلطة للمعرفة من خلال صياغة الخطاب وحمايته والعمل على تنظيم توزيعه –كنظام- "نظام الحقيقة"، يرمي إلى ممارسة نوع من العنف الرمزي على كلّ الخطابات الأخرى، من خلال أنّها تقرّر ما هو حقيقي وما هو مزيّف عبر آليات تحدد من يتكلم، وما يُسمح بقوله، وكيف يُقبل ك "حقيقة" داخل خطابات محدّدة. ينظر: ميشيل فوكو، إرادة المعرفة، تر: مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، 1990، ص 101، عبد العزيز العيّادي، ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، ط1، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1414/ 1994ص- ص 35- 47، محمّد حلمي عبد الوهّاب، ولاّة وأولياء السلطة والمتصوّفة في إسلام العصر الوسيط، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص- ص 47- 60، سماحي بوحجرة، المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط: الغزالي بين التزامات العالم وإلزامات السلطان، أطروحة دكتوراه فلسفة، كلّية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 02، 2016، ص 69، 70، حسين بوبيدي، جدلية السلطة والفلسفة في العصر الإسلامي الوسيط: إخوان الصفا أنموذجا، ط1، الدار المغربية، المغرب، 2018، ص 31- 38.

2 يقصد بها السلطة الّتي لا تفرض نفسها من خلال الأوامر فحسب، وإنّما تلك الّتي ندعوها سلطة طبيعية والّتي تتجلّى في الواقع الاجتماعي، في شكل منظومات رمزية: كاللغة، الدّين، الفن... فهم طبيعة عملها يتمّ من خلال دراسة الشروط الاجتماعية لإمكانية ممارستها داخل الحقل- سياسي، ثقافي، ديني .... الّذي تمارس فيه، إذ تختلف هذه الشروط من حقل لآخر. ينظر حولها: بيير بورديو، الرمز والسلطة، ط3، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، 2007، ص 71، الطاهر عليّ لقوس، أحمد ملاّح، السلطة الرمزية عند بيير بورديو، الأكاديمية للدراسات

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

د. المنهج التحليلي التفكيكي: استلهمت الدراسة مقاربة جاك دريدا Jacquie Derrida في تفكيك النصوص[1]، عبر تتبّع تناقضاتها الداخلية، والبحث عن العلامات التي تشير إلى ما تمّ كتمانه أو إسقاطه عمدًا. فالنّص التاريخي- كما يرى دريدا- لا يُقاس بحقيقة الوقائع فحسب، بل بقدرته على إخفائها أو تحويرها داخل البنية السردية.

3-1 نحو قراءة نقدية جديدة لتاريخ الدولة الحمّادية: انطلاقًا من هذا الإطار المنهجي، تهدف الدراسة إلى إعادة بناء تاريخ دولة بني حمّاد ليس بإضافة رواية جديدة فحسب، بل بإعادة صياغة أسئلة التاريخ نفسها. فالمطلوب اليوم ليس أن نعرف «ماذا حدث» فقط، بل أن نفهم «كيف ولماذا كُتب ما حدث» على نحوٍ معيّن. إنّ إعادة فحص المصادر القديمة في ضوء نظريات السلطة والمعرفة تمكّن من تجاوز المقاربة الوصفية إلى مقاربة تفسيرية، ترى في التاريخ فعلاً معرفيًا متحيزًا، يُنتج داخل شروط اجتماعية وسياسية محددة.

وبناءً عليه، تعتمد الدراسة على ما يلي:

•التعامل مع المصادر الزيرية باعتبارها نصوصًا سلطوية تنتج «نظام حقيقة» يخدم السلطة القائمة.

•قراءة النص الحمّادي كخطاب مقاومة يسعى إلى إعادة الشرعية المفقودة عبر الذاكرة التاريخية.

•تفكيك العلاقة بين المؤرخ والنص، وبين النص والسلطة، لإبراز الكيفية التي تتحوّل بها الكتابة التاريخية إلى أداة لإعادة إنتاج الهيمنة أو مقاومتها.

2- أثر الصراع السياسي في توجيه الكتابة التاريخية:

2-1 من التدوين التاريخي إلى إعادة إنتاج السلطة: تُظهر دراسة الروايات المختلفة حول تأسيس دولة بني حمّاد أنّ التاريخ لم يُكتب بوصفه سردًا محايدًا للأحداث، بل ك آلية لإعادة

الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، 16(2016)- ص41، 42، محمّد سنينة، هشام معيري، محاولة في فهم سوسيولوجيا الهيمنة: قراءة في فكر بيير بورديو، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 02، 17(2017)، ص- ص 4- 6.

1 يعني تفكيك النّصوص والحفر في طبقاتها للكشف عن قواعد ظهورها وعمّا تمارسه من آليات الحجب والاستبعاد والكبت والتحوير والخداع، انتهجه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا في تفكيك التراث الغربي من الداخل، وتجزئته إلى بناه الأوّلية الأساسية من أجل معرفة الكيفية الّتي تشكّل علها. ينظر: أحمد عبد الحليم عطّية، دريدا والفكر العربي المعاصر، ضمن كتاب: جاك دريدا والتفكيك، ط3، دار الفارابي، بيروت، 2010، ص- ص 70-76.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إنتاج السلطة السياسية والمذهبية. فكل نصّ تاريخي هو نتاج موقفٍ داخل صراع سلطوي تتقاطع فيه اعتبارات القرابة، والمذهب، والولاء، والمصلحة. ومن هذا المنظور، يمكن القول إنّ الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة لم تكن نشاطًا معرفيًا خالصًا، بل حقلًا صراعيًا تحكمه علاقات القوّة بين الأسر الحاكمة: الفاطميين، والزيريين، والحمّاديين. فالتاريخ هنا لا يعكس الحقيقة بقدر ما يعكس توازنات القوى التي أنتجته.

في هذا السياق، تصبح النصوص الزيرية، ككتابات الرقيق القيرواني وابن شدّاد الصنهاجي، جزءًا من جهاز الدولة الإيديولوجي الذي يعمل على تكريس «نظام حقيقة» يُشرعن استمرار السلطة الباديسية، ويُقصي أي سردية بديلة. أما النصوص الحمّادية، وعلى رأسها ما تبقى من آثار ابن حمّاد الصنهاجي، فهي تمثّل ردّ فعل معرفي مقاوم، يسعى إلى استعادة الشرعية المفقودة، من خلال بناء سردية مضادّة تؤكّد استقلالية الدولة الجديدة وخصوصيتها السياسية والمذهبية.

بهذا المعنى، لا يمكن فصل التاريخ المكتوب عن الصراعات التي أحاطت به؛ فكل عملية تدوين هي بالضرورة عملية اختيار وتغييب. إذ لا يقتصر دور المؤرخ على التسجيل، بل يتدخل بوصفه فاعلًا في إنتاج الذاكرة الجمعية، يقرّر ما يُقال وما يُنسى[1]. وهذا ما يجعل دراسة الخطاب التاريخي حول دولة بني حمّاد مدخلًا خصبًا لفهم العلاقة بين السلطة والمعرفة في المجتمع الوسيط.

2-2 إعادة بناء السردية الحمّادية بين الذاكرة والسلطة: لقد سعت الرواية الحمّادية إلى تفكيك الصورة التي رسمها المؤرخون الزيريون عن الأمير حمّاد بن بلكين، والتي قدّمته كـ «والٍ متمرّد» ناكرٍ لجميل ابن أخيه باديس. وفي مقابل ذلك، صاغ ابن حمّاد الصنهاجي سردية بديلة تُبرز مؤسس الدولة بوصفه قائدًا فقيهًا ذا مشروع سياسي وديني واعٍ، لا مجرد طامح في

1 وهو ما يطلق عليه فوكو اسم المؤلّف الإيديولوجي أو المؤلّف الخطابي الّذي ينتج الخطاب كأداة إيديولوجية للسلطة تمكّنها من الانتشار وإضفاء شرعية عليها، والخطاب التاريخي ضمن هذه الاستراتيجيات الإيديولوجية الّتي تعطي للسلطة شرعية الوجود على الصعيد التاريخي. حول نظرية المؤلّف عند فوكو، ينظر: كمال رمضاني، عبد المجيد عمراني، وائل حلاّق وإعادة قراءة فوكو في نظرية المؤلّف وجدلّية الخطاب والمعرفة، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، م10، جامعة تمنراست، 3(2021)، ص 359، 360.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

السلطة. وقد عمل هذا النص على تبرير انفصال حمّاد باعتباره فعلًا إصلاحيًا يهدف إلى التمكين سياسيا للمذهب السنّي، وترسيخ الشرعية الدينية عبر الارتباط بالخلافة العباسية.

إنّ هذا التحوّل من تفسير الانفصال كتمرّد إلى اعتباره ثورة شرعية، يعبّر عن انتقال في بنية الخطاب التاريخي من "التاريخ الرسمي" إلى "التاريخ المقاوم". وتكشف المقارنة بين الروايتين عن اختلاف جوهري في منظور الزمن التاريخي:

*فالرواية الزيرية أخرجت الحدث على أنّه خروجٌ سياسيٌّ مؤقتٌ، سرعان ما انتهى بالصلح.

*بينما أخرجته الرواية الحمّادية على أنّه تأسيس لكيان سياسي جديد للأسرة الحمّادية، يعبّر عن هوّية مذهبية مستقلة.

هذا التحول في زاوية النظر يبيّن كيف أنّ الذاكرة السياسية تُصنع داخل صراعات الشرعية. والسلطة لا تكتفي بإدارة الواقع، بل تُعيد إنتاج الماضي بما يخدم صورتها، في حين تسعى القوى المنافسة إلى كتابة تاريخٍ بديل يُثبّت وجودها الرمزي في الحاضر.

3-2 النص التاريخي كفضاء للصراع الإيديولوجي: تكشف القراءة المقارنة للمصادر أنّ كل طرفٍ من أطراف الصراع- الزيريون والحمّاديون- لم يكتف بتبرير موقفه السياسي، بل سعى إلى إعادة بناء منظومة رمزية متكاملة تستند إلى الشرعية الدينية.

ففي حين حكم الزيريون بتفويض من الخليفة الفاطمي، وجعلوا من الولاء السياسي للخلافة الفاطمية أساسًا لمشروعية حكمهم الموروث، قدّم الحمّاديون أنفسهم باعتبارهم حماة المذهب المالكي وأهل السنّة والجماعة في المغرب الإسلامي. وهكذا تحوّل التاريخ إلى أداة صراع رمزي يتنافس فيها الطرفان على احتكار "إرادة الحقيقة."

على هذا الأساس، يظهر أنّ مفهوم «الحقيقة التاريخية» في هذه المرحلة لا يُقاس بمطابقة الوقائع، بل بمدى انسجامها مع الخطاب السلطوي أو المناوئ له. فالحدث الواحد – كتولية حمّاد على المغرب الأوسط، أو تمرّده على الحكم البادیسي، أو بناء القلعة– يُروى بروايتين متناقضتين، كلٌّ منهما تعكس نظامًا معرفيًا مختلفًا:

*في الرواية البادیسية: حمّاد خائن المتمرّد ناقض للعهد مع الأمير بعد أن أغدق عليه العطايا.

*في الرواية الحمّادية: حمّاد حارب عمّا هو حقّ مشروع له باتّفاق مشروط وافق عليه الأمير .

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

*في الرواية الباديسية: القلعة حصنٌ منيع اقتصر دورها على حماية حدود الدولة الباديسية الغربية.

*في الرواية الحمّادية: القلعة عاصمة حضارية مثّلت تدشين مشروع حمّاد في تأسيس الدولةٍ.

وهذا التناقض ليس مجرّد اختلاف في التأويل، بل اختلاف في شروط إنتاج المعرفة ذاتها، لأنّ كل رواية تُنتج داخل حقلٍ اجتماعي ومذهبي خاصّ، يخضع لقواعده الرمزية والسلطوية.

4-2 السلطة بوصفها منتِجًا للمعرفة التاريخية: تُظهر تطبيقات النظرية الفوكوية أنّ السلطة لا تعمل فقط بالقهر أو العنف، بل أيضًا من خلال إنتاج المعرفة التي تبرّر وجودها. وفي هذا الإطار، تمارس الكتابة التاريخية نوعًا من «الرقابة الداخلية» التي تحدّد ما يُقال وما يُمنع قوله. فالصمت في النص ليس غيابًا للقول، بل حضورًا للسلطة التي تمنع النطق به[1].

وهذا ما نلاحظه في تغييب أخبار معيّنة حول دولة بني حمّاد، أو في طمس شخصيات بعينها من السرد، أو في تضخيم أحداث على حساب أخرى. من هنا يصبح المؤرخ، في منظور فوكو، حارسًا للخطاب أكثر من كونه ناقلًا للحقائق. فهو يكتب تحت سلطة منظومة معرفية محددة- إبستيميه[2]- ترسم له حدود الممكن والممنوع في القول. أما وفق بورديو، فإن المؤرخ يتحرك داخل حقل معرفي تحكمه رهانات رمزية: الاعتراف، الشرعية، الهيمنة. وكل كتابة هي موقع تفاوض بين الرغبة في الموضوعية والضرورة في التبرير.

1 يشرح فوكو السكوت في النصّ على أنّه أحد استراتيجيات السلطة لإعادة إنتاج الحقيقة بما يخدم مصالحها، ويرى أنّه ليس مجرّد منع، بل هو إقصاء يعمل وفق آلية ثلاثية من التحريم والتغييب والصمت إزاء الموضوع الذّي يشمله، وقد تمّ توظيف هذا المنظور في هذا المقال للدلالة على عملية الصمت والإغفال المقصود الّتي يمارسها مؤرّخ السلطة في تغييب الأخبار الّتي لا تخدم الدولة الموالي لها، وهو ما مارسه الرقيق القيرواني في تدوين تاريخ الحمّاديين في علاقتهم بدولة باديس بن المنصور، ينظر: عبد العزيز العيّادي، ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، ص 22.

2 يمثّل هذا المفهوم حجر الزاوية في نسق فوكو المعرفي، ويعرّفه بأنّه ما نريد تبيانه في الحقل المعرفي حيث المعارف منظورا إليها خارج أيّ معيار يستند إلى قيمتها العقلية أو صوّرها الموضوعية؛ فهي نوع من النظام المنطوق المرتبط بإرادة الحقيقة، الّذي يتحكّم في معارف فترة تاريخية معيّنة، مهمّتها الكشف عن الإمكانيات والشروط التاريخية لظهور المعارف، ويبحث في تحليل الملفوظات المكوّنة للخطاب وشروط تكوّنها، الأمر الّذي يؤدّي إلى القول بأنّ كلّ حقبة تاريخية لها إبستيميه خاصّ بها. وفي الدراسات الّتي تبحث في تشكّل النّصوص التاريخية، يكون من الأهمّية الكشف عن هذه المنظومة الّتي تقف خلف تشكّل الخطابات المعرفية المختلفة. ينظر: ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، تر: مطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1989-1990، ص 25، العيّادي، ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، ص 20، 21، الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص-ص 180-182، حسين بوبيدي، بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي: قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، م17، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1(2013)، ص 209.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بتطبيق هذين الإطارين على نصوص المرحلة الحمّادية، يتبيّن أن المؤرخين الزيريين عملوا على إقصاء الأخبار والصمت عنها، حتّى يصل الأمر كما أشار ميشيل فوكو إلى حالة لا شيء يمكن قوله أو معرفته، ومارسوا نوعًا من «العنف الرمزي»[1] ضدّ خصومهم، من خلال خطابٍ يوهم بالحياد بينما يخدم إعادة إنتاج الهيمنة البادیسية. في المقابل، شكّل النص الحمّادي محاولة مضادّة لاستعادة **رأسمال رمزي مفقود** عبر التاريخ المكتوب.

5-2 من التهميش إلى إعادة الاعتراف: مصائر السردية الحمّادية: ظلّت الدولة الحمّادية قرونًا طويلة هامشًا في الكتابة التاريخية المغربية، ليس بسبب غياب الوثائق، بل بسبب كتابة تاريخ الفترة من قبل الطرف المعادي، وضعف الحضور السياسي للورثة الرمزيين لهذا الكيان بعد سقوطه. كما حصل مع الزيريين في القيروان الّذين ورثوا حكم الفاطميّين وتقاليد الملك منهم. فأسّسوا مدرسة تاريخية متواصلة الأثر من إنتاج كتّاب البلاط[2]، لكن مع صعود النقد التاريخي الحديث، بدأت هذه الدولة تستعيد موقعها بوصفها نموذجًا مبكرًا للدولة المحلية في المغرب الإسلامي، تتبنّى المذهب المالكي وتؤسّس لنهضة فكرية ومعمارية متميزة.

إنّ إعادة الاعتبار لتاريخ بني حمّاد اليوم لا تعني مجرّد نقد سردية، بل تحرير الذاكرة التاريخية من هيمنة المركزيات القديمة. فهي دعوة إلى إعادة التفكير في علاقة التاريخ بالسلطة، وإلى استعادة حقّ الأطراف في كتابة ذاكرتها الخاصة، خارج إملاءات المنتصرين.

3- التاريخ المقاوم: السردية المركزية والسردية المضادّة

1-3 شخصية حمّاد بن بلكين بين السياسي والفقيه: تُعدّ شخصية حمّاد بن بلكين (386-419هـ/996-1015م)، مؤسس الدولة الحمّادية، نموذجًا مركّبًا يجمع بين البعد السياسي والفقهي، وقد مثّلت محورًا للتأويل والتوظيف في الخطابين الزيري والحمّادي على حدّ سواء. إذ

1 يعود هذا المصطلح للسوسيولوجي الفرنسي بيير بورديو، ويقصد به فرض الهيمنة من خلال ممارسة سلطة الإقناع والإبانة وإقرار التصوّر عن العالم الّذي يكون أكثر ملاءمة لصالحها، أو تحويلها باستعمال الأساليب الخطابية مع الناس وفق منظورهم للعالم. ينظر: بيير بورديو، السلطة الرمزية، ص 50، 51.

2 تمثّل هذه المدرسة كتابات كلّ من الرقيق القيرواني وابن شرف القيرواني وأميّة ابن أبي الصّلت الّذين كانوا كتّابا للأمراء الزيريّين دوّنوا تاريخ الدولة، وابن شدّاد الصنهاجي الّذي كان سليل العائلة الحاكمة، نقل عنهم وواصل عملية التدوين، حول هذا الموضوع، ينظر علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، ضمن كتاب: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 160- 162.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تكشف قراءة المصادر التاريخية عن تباينٍ واضحٍ في تمثيل هذه الشخصية بين التنقيص السياسي في الروايات الباديسية والتبجيل الرمزي في الرواية الحمّادية المتأخرة.

لم تحظَ سيرة الأمير حمّاد بترجمة وافية في المصادر الإخبارية على غرار الاهتمام الذي ناله أمراء البيت الزيري، فالمعلومات المتوافرة عنه قليلة ومجزأة، وغالبًا ما تَرِد في سياقٍ جدليٍّ بين ولائه وتمرده. غير أنّ بعض النصوص- وعلى رأسها ترجمة ابن الخطيب- تبرز ملامح شخصية علمية وفكرية متينة؛ إذ تصفه بأنه «ملك شجاع جواد قرأ الفقه بالقيروان ونظر في كتب الجدل»[1]. ويؤكد هذا المعطى أنّ تكوينه الفقهي كان متينًا، وأنه تشرّب أصول المذهب المالكي في عاصمة الفقه بالمغرب الإسلامي[2]، في زمنٍ كانت فيه المناظرات الكلامية والفقهية في أوجّها[3]. أما رواية البكري[4] التي تشير إلى ممارسته الفتوى في قضايا النكاح والعدالة فتدّل على امتلاكه سلطة علمية تخوّله ممارسة القضاء والاجتهاد.

من جهة أخرى، يعرض ابن حزم الأندلسي (ت456 هـ/ 1064م)[5]، صورة روحانية لحمّاد، تصفه بالورع والزهد وكثرة الصيام، مما يضيف إلى ملامحه السياسية بعدًا أخلاقيًا ودينيًا يجعله أقرب إلى نموذج «الأمير الفقيه». هذه الازدواجية في التمثيل- بين القائد المحنّك والسياسي الفقيه- سمحت ببناء سردية شرعية حول مؤسس الدولة لدى المؤرّخ الحمّادي، تُبرّر مشروعه السياسي باعتباره استمرارًا للسلطة الشرعية المستندة إلى العلم والدين.

1 أعمال الأعلام، ج2، ص-ص 322، 328.

2 حول الفقه المالكي وفقهاء المالكية بالقيروان خلال القرن الرابع. ينظر: بشير رمضان التلّيسي، الاتّجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري-العاشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003، ص 331-336، عبد المالك مغشيش، أعلام المذهب المالكي وتآليفهم في القرن الرابع الهجري بالمغرب الكبير، م3، مجلّة الدراسات الإسلامية، جامعة عمّار ثليجي، 4(2014)، ص-ص 316-326.

3 عاصر حمّاد الجيل الثاني من فقهاء المالكية المناظرين والمجادلين بالقيروان، الذين جاؤوا بعد الجيل الأوّل الّذي أدخل المذهب إلى بلاد المغرب. ينظر: بوبة مجّاني، القيروان وفقهاء الدولة الحمّادية، ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ط1، المجمّع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، 2010م، ج1، ص 140، 141.

4 البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، ط1، تح: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992، ج2، ص 884.

5 ابن حزم أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، رسائل ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ط2، تح إحسان عبّاس، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987، ج2، ص 71.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

في المقابل، سعت الرواية الزيرية إلى تفريغ شخصية حمّاد من مضامينها العلمية والأخلاقية وتصويره كوالي خادم للسلطة الباديسية وسيف من سيوفها[1] خائن للأمانة متمرّدٍ على السلطة الشرعية فتمّ تغييب مؤهّلاته الفكرية لصالح إبراز سلوكه السياسي بوصفه «خارجًا عن الطاعة»[2]. غير أنّ هذه القراءة الانتقائية تكشف عن الخلفيات الإيديولوجية التي وجّهت التدوين التاريخي، إذ لم يكن الاختلاف حول حمّاد مجرد خلافٍ في الوقائع، بل صراعًا على رمزية التأسيس ومعنى الشرعية.

وهكذا، تُظهر مقارنة الخطابين أنّ صورة حمّاد بن بلكين لم تُبنَ على أساسٍ موضوعي بقدر ما كانت نتاجًا لرهانات السلطة والمعرفة. فالمؤرخون، كلٌّ حسب موقعه، أعادوا تشكيل هذه الشخصية بما يخدم سرديتهم: بين «حاكم شرعي» و«والي متمرّد». وهذا التعدد في التمثلات يعبّر عن الطبيعة المركّبة لكتابة تاريخ المغرب الإسلامي، حيث تتداخل الشرعية السياسية مع السياسة الشرعية، لتتحوّل شخصية المؤسس إلى مرآةٍ لصراعٍ أعمق بين الخطاب والشرعية.

2-3 بناء القلعة: إنجاز عمراني حضاري أم مشروع عسكري سياسي؟: يُعدّ تأسيس مدينة قلعة بني حمّاد سنة 398هـ/1008م أحد أهمّ الأحداث المفصلية في تاريخ المغرب الأوسط، إذ لم يكن مجرّد مشروعٍ عمراني، بل تجسيدًا لرؤيةٍ سياسيةٍ واستراتيجيةٍ متكاملة، تداخل فيها المعماري بالعسكري، والمذهبي بالرمزي. فقد تحوّلت القلعة إلى فضاءٍ تعبيري عن الدولة الجديدة، ومجالٍ ماديّ لترسيخ سلطتها الرمزية والعملية في آنٍ واحد.

من منظورٍ جغرافيٍّ واستراتيجي[3]، استجاب اختيار موقع القلعة لمتطلبات الدفاع والمنعة[1]، إذ بُنيت على مرتفع جبليّ محصّن[2]، يتيح السيطرة على الممرات التجارية[3] ويؤمّن الاتّصال

1 يعبّر ابن شدّاد عن هذا بوصف حمّاد على أنّه خادم لدولة باديس بن المنصور، كالحجّاج بن يوسف في دولة بني أميّة. ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 109.

2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م8، ص 86، ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص-ص 262-264، النويري، نهاية الأرب، ج24، ص-ص 107-109، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 329، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 228.

3 بقراءة ما دوّنه سليل الأسرة الحمّادية بمدينة القلعة ابن حمّاد الصنهاجي، مع تقارير الجغرافيين، نجد أنّ قلعة حمّاد جمعت كلّ شروط المدينة-الدولة، من اختيار مكان البناء إلى تعميرها وتمصيرها، وفق شروط بناء وتعمير المدن في الفكر العمراني الإسلامي. ينظر حول هذه الشروط: ابن خلدون، ج1 (المقدّمة)، ص 432-433، ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، تح عارف

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بالمدن الحيوية في الزاب والمسيلة. أما من الناحية الاقتصادية والحضارية، فقد صُمّمت لتكون مركزًا تجاريًا وثقافيًا متعدّد الوظائف، يضمّ الأسواق والمساجد والمدارس والفنادق[4]، مستقطبةً السكان من مختلف المناطق[5]، ما جعلها رمزًا لتكامل السلطة السياسية والازدهار الاقتصادي. وقد عبّر ابن حمّاد عن هذا الازدهار، بالقول" «فاستبحرت في العمارة واتّسعت في التمدّن، ورحل إليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاّب العلوم وأرباب الصنائع، لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها"[6].

غير أنّ القراءة النقدية للمصادر تُظهر أنّ البعد العمراني لم يكن سوى واجهةٍ لمشروعٍ سياسيٍّ أعمق، هدف إلى تثبيت استقلال حمّاد بن بلكين وإعادة رسم الجغرافيا الرمزية للسلطة في المغرب الأوسط. فبناء القلعة على أنقاض مركزٍ إباضيٍّ سابق اتّخذه أبو يزيد مخلد بن كيداد مقرًّا لثورته ضدّ الفاطميين، وتخريب المسيلة الّتي كانت عاصمة لهم بالمغرب الأوسط، مثّل فعلًا رمزيًا لاستعادة المجال القبلي، وإعادة أسلمته وفق المذهب السنّي المالكي.

أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، 1996، ص 105-108، ابن الأزرق أبو عبد الله شمس الدين محمد الغرناطي، بدائع السلك في طبائع الملك، تح عليّ سامي النشّار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ج2، ص-ص 277-279.

1 البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 710، ابن الأثير، المصدر السابق، م9، ص 373، م8، ص 372.

2 ولأنّها بنيت على جبل عالٍ فهي تتمتّع بجودة الهواء، يوافق ذلك وصف الإدريسي لجودة محاصيلها الزراعية، وأنّ "الحنطة بها تختزن لمدّة طويلة لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير". ينظر: الإدريسي أبوعبد الله محمّد بن محمّد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002/1422، م1، ص 261.

3 وهنا يمكننا استحضار البعد الاقتصادي والحضاري في تأسيس عاصمة الدولة، وسعي حمّاد للسيطرة على طرق التجارة لأجل الاستفادة من عائدات هذا النشاط، وبالخصوص تجارة الذهب والرّقيق مع السودان الأوسط والغربي عبر المحور الأوسط ومسالك مدينة وارجلان، المرتبطة بحواضر المغرب الأوسط لتصبح من أهمّ مدن القوافل فيما بعد، وقد عبّر البكري عن هذا الازدهار في عهده حين وصفها بأنها "من أعمر مدن المغرب الأوسط وأغناها بالتجارة". ينظر: المسالك والممالك، ج2، ص 710. وحول طرق التجارة مع الصحراء الرابطة بين المغرب الأوسط والسودان عبر المحور الأوسط، ينظر: حسين بوبيدي، دور المحور الأوسط من الطرق التجارية في التواصل الاقتصادي بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، مجلّة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية قالمة، 16(2013)، ص-ص 125-131، محمّد بن عربة، أحلام بوسالم، دور مدينة وارجلان في تجارة الرّقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، م4، تيارت، 1(2021)، ص-ص 87-91.

4 ابن خلدون، العبر، ج6، ص 227، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 329.

5 حسب ابن خلدون، فإنّ حمّاد انتقى في تعمير القلعة تركيبة بشرية متنوّعة حين هجّر إليها أهل حمزة الّتي كانت حاضرة على عهد الأدارسة، والمسيلة الّتي كانت حاضرة الفاطميّين، ومركز تجاري وحضاري في بلاد الزاب، وخرّبهما استثمارا في إثراء عاصمة دولته بالإرث الحضاري للمدينتين. ينظر: المصدر السابق، ص 227.

6 المصدر نفسه، ص 227.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

بهذا المعنى، كان تأسيس القلعة في فضاءٍ كان يومًا ما معقلًا للمذاهب المعارضة، تتويجا لسيادة صنهاجة على زناتة، وانتصارا لهيمنة مذهب أهل السنّة والجماعة فكريا وسياسيا.

تُبرز هذه الدينامية أنّ فعل التعمير في السياق التاريخي لم يكن منفصلًا عن البنية الذهنية والإيديولوجية للمؤسّسين، بل كان امتدادًا لما يسميه بورديو بـ «الهيمنة الرمزية»، حيث يتحول العمران إلى أداةٍ لترسيخ السلطة من خلال الشكل والمكان. فالمدينة الحمّادية لم تُبنَ فقط لتحمي حدود الدولة[1]، بل لتُجسّد في عمرانها خطابًا سياسيًا حول الشرعية والانتماء المذهبي. بناءً عليه نستنتج أنّها مثّلت تدشين مشروع حمّاد بن بلكين في الإنفصال عن باديس. ومن هنا فإنّ السؤال حول كون القلعة «إنجازًا حضاريًا» أو «مشروعًا عسكريًا» يتجاوزه الواقع التاريخي، إذ كانت في حقيقتها فضاءً جامعًا للبعدَين معًا: أداة دفاع واستقلال من جهة، ومجالًا لتجسيد هوية الدولة الجديدة ومشروعها الفكري من جهة أخرى.

3-3 انفصال حمّاد بن بلكين في مسار التدوين: بين الرواية الحمّادية والرواية البادیسية:

يشكّل انفصال حمّاد بن بلكين عن الدولة الزيرية لحظةً محورية في التاريخ السياسي والمذهبي للمغرب الأوسط، كما يمثّل في الآن ذاته نقطة تحوّل في مسار التدوين التاريخي لصنهاجة الشمال. فقد تعاملت المصادر مع هذا الحدث بمنطقٍ انتقائي، عبّرت من خلاله عن انتماءات سياسية ومذهبية متباينة، بحيث لم يكن الاختلاف حول الوقائع فحسب، بل حول شرعية السلطة ومعنى الاستقلال ذاته.

تُبرز الرواية البادیسية، عند الرقيق القيرواني وابن شدّاد الصنهاجي، صورة انفصال حمّاد بوصفه تمرّد على الشرعية السياسية البادیسية، معتبرةً ثورته الّتي استغرقت أربع سنوات خروج عسكري سياسي طمعا في السلطة. أما الرواية الحمّادية، عند ابن حمّاد الصنهاجي، فقد أعادت تأويل الحدث باعتباره مشروعًا سياسيًا متكاملًا لبناء دولةٍ مستقلة

1 حاولت الرواية البادیسية المنقولة في نصوص ابن الأثير وابن عذارى والنويري، إظهارها على أنّها عملية بناء قلعة لصدّ المدّ الزناتي اقتصر دورها على حماية حدود الدولة البادیسية الغربية، وبعد تمرّد حمّاد صارت حصن منيع لحماية ثورته. وتجاهلت سماتها العمرانية ودورها الحضاري كعاصمة دولة. لكن التحليل السابق يكشف عمّا هو أكثر، ولو اقتصر الأمر على هذه المهمّة لاكتفى حمّاد بمدينة أشير الّتي غُبّن واليا عليها، ولم تكن أقّل حصانة من القلعة.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

تقوم على المذهب المالكي، في سياق مواجهة النفوذ الفاطميّ واستعادة السيادة الصنهاجية في المغرب الأوسط.

من خلال المقارنة النصّية يتّضح أنّ الرواية الزيرية اعتمدت أسلوب الحذف والتعمية في سرد الأحداث، متجاهلةً الشروط السياسية والاتفاقات السابقة بين باديس[1] وعمّه حمّاد، كما في عقد ولاية المغرب الأوسط[2] الذي مثّل اعترافًا ضمنيًا باستقلالٍ إداريٍ مبكر. في المقابل، لجأت الرواية الحمّادية إلى توظيف الذاكرة الجماعية لتأكيد شرعية التأسيس عبر إبراز البعد المذهبي للمشروع الحمّادي[3]، فصوّرت الانفصال على أنه تجسيدٌ لإرادة إصلاح سياسي وديني، مبرّرا خروجه السياسي على السلطة.

هذا التباين بين السرديتين يعبّر عن آليةٍ إبستيمولوجيةٍ أعمق تتمثّل في تحويل الحدث السياسي إلى خطابٍ تأريخي موجّه. فكلّ طرفٍ سعى إلى إعادة إنتاج الماضي بطريقة تبرّر موقعه من السلطة: فالرواية الزيرية تصوغ التاريخ بوصفه استمرارية للشرعية الوراثية، بينما تحاول الرواية الحمّادية تأسيس سردية بديلة تشرعن الانفصال باسم المذهب السنيّ والحقّ السياسي. بهذا المعنى، لم يكن الخلاف حول من يحكم، بل حول من يمتلك سلطة تعريف الشرعية ذاتها.

1 باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن منّاد الصنهاجي(386- 406هـ/ 996- 1016م)، يكنّى أبا منّاد ، ويلقب نصير الدولة ، تولّى حكم إفريقية بعد أبيه نيابة عن الخليفة الفاطمي بمصر سنة 386 هـ / 996 م ، وهو صغير السّن، عمره اثني عشرة سنة، ترجمت له المصادر بأنّه كان ملكا كبيرا حازم الرأي شديد البأس ، توفي سنة 406 هـ / 1016 م. ينظر ترجمته عند : ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت 1397/ 1977، م1، ص 265، 266، الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، ط2، باعتناء جاكلين سوبله، علي عمارة، دار صادر، بيروت، 1411/ 1991، ج10، ص 68، 69، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 321، 322

2 تذكر الرواية الحمّادية عند كلّ من ابن الخطيب وابن خلدون أنّ حماد إشترط ولاية المغرب الأوسط على باديس، بل الأكثر من ذلك «جعل له تملّك كل ما يفتحه وأعفاه من الوصول إلى إفريقية بعد»، والّتي يفهم منها أنّ استقلال حمّاد بن بلكين بولاية المغرب الأوسط، هي عقد متفّق عليه، تمّ بين باديس وعمّه حمّاد. ينظر: أعمال الأعلام، ج2، ص 322، العبر، ج6، ص 227.

3 من بين النصوص التّي أرّخت لانفصال حمّاد بن بلكين السياسي عن باديس، ورد نصّ عند ابن خلدون يحمل رواية طبعت هذا التمرّد بمظهر الانفصال المذهبي بنقض البيعة للفاطميين وإعلان الدعوة لآل العباس، بينما تمّ إغفال هذا الخبر في المصادر الّتي تبنّت الرواية البادیسية، ينظر: العبر، ج6، ص 228. وحول موضوع الولاء السنّي لحمّاد بن بلكين ينظر الدراسة القيّمة للباحث محمّد نصير، القطيعة الحمّادية للدولة الفاطمية: دراسة في الخلفيات السياسية والأبعاد المذهبية، م13، مجلة دراسات، جامعة قسنطينة 02، 2(2022)، ص 35-72.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إنّ قراءة هذا الحدث في ضوء نظريات فوكو وبورديو حول العلاقة بين السلطة والمعرفة تسمح بفهمٍ أعمق لطبيعة التدوين التاريخي الوسيطي. فالتاريخ هنا لا يُنتج باعتباره وصفًا للوقائع، بل كآليةٍ رمزيةٍ لإعادة ترسيم حدود الشرعية الدينية والسياسية. ومن ثَمّ، فإنّ انفصال حمّاد بن بلكين لم يكن مجرد فصلٍ جغرافي أو إداري، بل كان تحوّلًا معرفيًا في الوعي السياسي لصنهاجة، أنتج حقلًا جديدًا للكتابة التاريخية يعيد ترتيب السلطة داخل الذاكرة.

4-3 الكتابة التاريخية حول حمّاد بعد الانفصال: والي متمرّد أم أمير متغلّب؟: أفرز الانفصال السياسي بين حمّاد بن بلكين وابن أخيه باديس بن المنصور زخمًا تأريخيًا كبيرًا جعل من شخصية حمّاد محورًا للتأويل والتنازع في الروايات اللاحقة. وقد تباينت الكتابات الوسيطية في مقاربتها لتجربته بعد الانفصال، فبينما واصلت المصادر الباديسية تصويره بوصفه والياً تابعا انتهت ثورته بالصلح[1] بينه وبين المعّز بن باديس (406-454هـ/ 1016-1062م)[2]. سعت الرواية الحمّادية إلى تثبيته كأميرٍ متغلّبٍ اكتسب شرعيته بفضل القوّة والحنكة والنجاح السياسي. هذا التباين في التمثيل يكشف أنّ فعل الكتابة التاريخية لم يكن وصفًا للأحداث، بل أداةً لإنتاج الذاكرة السياسية وتوجيهها.

تؤكّد النّصوص الزيرية، وعلى رأسها روايات الرقيق القيرواني وابن شدّاد، أنّ حمّاد تمرّد على ابن أخيه وامتنع عن تسليم الأعمال التي ولاّه عليها، فاستحقّ الحرب والعقاب[3]. وقد اعتمد هذا الخطاب على مفردات الإدانة الأخلاقية والاتّهام بالخيانة والجحود[4]، مع إسقاطٍ

1 مع الغموض الّذي يحيط بمجريات هذا الصلح يؤكّد ابن خلدون، أنّه بداية منه انقسمت الدولة الصنهاجية إلى دولتين: دولة إلى المنصور بن بلكين أصحاب القيروان، ودولة إلى حمّاد بن بلكين أصحاب القلعة، لكنّ ابن شدّاد لا يذكر سوى ما عقد عليه المعّز للقائد من مدن، إنهاء لدور حمّاد تاريخيا بالرضوخ والهزيمة، وتجاوز الكتابة حول قضية الاعتراف بدولة لحمّاد خدمة لسردية قائمة على أنّ الحمّاديّين لم يستقلّوا بالحكم إلاّ بعد ضعف دولة المعّز جراء الهجرات الهلالية، واستبدادهم بالبلاد. ينظر: العبر، ج6، ص 210، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م8، ص 89، 90، النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 113، 114، 122.

2 يكنى أبا تميم وهو رابع الأمراء الزيريين، ولد 5 جمادى الأولى سنة 398 هـ / 1008 م بالمنصورية، وولّيَ بعد أبيه سنة 406 هـ/ 1016 م، وسنّه 8 سنوات وأشهر، ترجم له بأنّه كان ملكا جليلا عالي الهمة، حليما وشجاعا كريما توفي سنة 454 هـ/ 1062م. ينظر ترجمته عند: ابن خلكان، وفيات الأعيان، م5، ص 233، 234، ابن الأثير، المصدر السابق، ص-ص 88، 354، ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص-ص 267، 295، النويري، نهاية الأرب، ج24، ص-ص 111، 121.

3 ابن الأثير، المصدر نفسه، ص 86، 87، ابن عذارى، المصدر نفسه، ص-ص 262-264، النويري، المصدر نفسه، ص 107-109.

4 يلاحظ أنّ أخبار حمّاد في الفترة منذ توليته على أشير سنة 386هـ إلى 405هـ كانت مغيّبة تماما، في الكتابات الباديسية، ونسب فيها قمع التمرّدات الزناتية والعائلية إلى أخيه يطوفت، ولم يُذكر اسم حمّاد إلاّ مقترنا بهزيمتهم سنة 389هـ/ 999م بتاهرت، من قبل زناتة، بسبب انشقاق في المعسكر

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

متعمّدٍ لكل ما يعزّز صورته كقائدٍ سياسيٍّ أو مؤسّسٍ لدولة[1]. أمّا السردية الحمّادية كما صاغها ابن حمّاد الصنهاجي، فقد أعادت بناء الحدث في إطارٍ مغاير، معتبرةً الانفصال تحوّلًا طبيعيًا نحو تأسيس دولة مستقلّة، وأنّ حمّادًا لم يكن ناقضًا للعهد[2]، بل صاحب مشروعٍ سياسيٍّ شرعيٍّ وواعٍ بأبعاد التغيير المذهبي والقبلي في المغرب الأوسط.

من خلال تحليل الخطابين، يتّضح أنّ جوهر الخلاف لم يكن حول الحدث ذاته، بل حول معنى الشرعية وحدودها .فقد استخدم المؤرخون الباديسيون آليات "الشيطنة الرمزية"[3] لتجريد الخصم من مشروعيته، في حين لجأ الحمّاديون إلى "التقديس التاريخي" عبر إضفاء صفات الحنكة السياسية والسند الفقهي والشجاعة عليه. بهذا المعنى، تحوّلت الكتابة التاريخية إلى فضاءٍ للصراع الرمزي، حيث تتخذ اللغة وظيفةً سياسية، ويُعاد تشكيل الذاكرة الجماعية وفق منطق القوة والمعنى.

وانسحاب الجنود المقاتلين من تلكاتة لأنّ حمّاد أساء عشرتهم، حتّى لا تجعل لحمّاد المتمرّد على الحكم الباديسي فضلا على الأمير؛ فيكون بذلك باديس وحده صاحب الفضل على حمّاد الّذي أقطعه الأعمال، ودعّمه بالخيل والكساء، وفي الأخير نكر الجميل وتمرّدا. ينظر: ابن عذارى، نفسه، ص 249، 250، النويري، نفسه، ص 103، 104. بينما تخبرنا الرواية الحمّادية عن الأخبار المسكوت عنها كتمرّد عمومة باديس بن المنصور عليه عند تولّيه الحكم، إذ يذكر كل من ابن خلدون وصاحب مفاخر البربر، أنّه استعان على حربهم بعمّه حماد. العبر، ج6، ص-ص 208، 209، 228، مؤلّف مجهول، مفاخر البربر، ط1، تح عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، 2005، ص 123.

1 تجاوزت الرواية الباديسية قضيّة الشروط الّتي تمّت بين باديس وحمّاد حول ولاية المغرب الأوسط، حتّى يكون باديس هو قام باستعادة حقّ ابنه، لا من نقض الاتّفاق خيفة من تعاظم نفوذ واليه، ويكون حمّاد هو الوالي المتمرّد. واكتفت بالحديث عن انفصاله السياسي الّذي صاحبته عمليات القتل والحرق والنهب الغير مبرّر ضدّ أهل البلد، بعد أن أعطاهم الأمان؛ توظيفا لخطاب تاريخي يظهر مؤسّس الدولة الحمّادية في "صورة الطاغية " المتمرّد على الحكم. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ص 249، 250، النويري، المصدر السابق، ص 103، 104.

2 نفهم ذلك من خلال روايته في النّص الوارد عند ابن خلدون المناقضة للرواية الباديسية والقائلة بأنّ ولاية حمّاد بن بلكين على المغرب الأوسط، هي عقد مشروط من حمّاد ومتفّق عليه، تمّ بين باديس و عمّه حمّاد؛ جزاءً على المجهود الكبير الّذي بذله، وسيبذله لدرء الخطر الزناتي. مبرّرا خروجه على الحاكم. وفي طلب التنازل عن الأعمال الّتي كانت حسب الروايات سبب الخلاف بينهما، يذكر أيضا حسب ما نقله عنه ابن الخطيب أنّ باديس طلب منه ما حازه من الأعمال أيّ ما حصل عليه بجهده وعنائه، استكمالا لسردية الاتّفاق المبرم بينهما، وحتّى يبرّر رفضه تسليم الأعمال بأنّها حقّ مشروع له. ينظر: العبر، ج6، ص 227، أعمال الأعلام، ج2، ص 323.

3 في أحداث الحرب تسترسل الرواية الباديسية، في الحديث عن بطولات باديس في اتّباعه لحمّاد وتصوّره على أنّه كريم سمح جواد، حسن التدبير وقيادة الجند، وأنّ أخاه الّذي أرسله إلى القلعة لم يتعرّض لسفك دم ولا لنهب مال أحد، بينما تحرص على رجم حمّاد وأخيه إبراهيم بأشنع الأوصاف فتجعل الأوّل في صورة المتمرّد الناكر لجميل ابن أخيه، البخيل في عطاء جنده، السفاك لدماء أهله، وتذكر أنّ أخاه إبراهيم أقبل على قتل نساء الرّجال الّذين خرجوا من القلعة إلى باديس، وذبح أطفالهم على صدور أمّهاتهم وشقّ بطونهم. وهو وصف مبالغ فيه، والواضح أنّه تمّ تصويرها من قبل مؤرّخ العائلة، للعمل على تشويه صورة الأعداء السياسيين للدولة، والسبب الّذي جعلني أحدّد أنّه صادر عن مؤرّخ العائلة، أنّ مثل هذه التوصيفات المتحاملة على الخصوم غير موجودة عند ابن عذارى الّذي نقل هو الآخر عن الرّقيق. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م8، ص 86، 87، النويري، نهاية الأرب، ج24، ص 108، 109.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إنّ القراءة الإبستيمولوجية لهذا التباين تسمح بفهم أعمق لطبيعة إنتاج المعرفة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط. فالمؤرخ لم يكن ناقلًا محايدًا، بل فاعلًا ضمن شبكة السلطة التي تحدد ما يمكن قوله وما يجب السكوت عنه. وهكذا، تصبح ثنائية "الوالي المتمرّد" و"الأمير المتغلّب" تمثيلاً مكثّفًا للعلاقة بين المعرفة والسلطة في حقل التأريخ الإسلامي، حيث تتقاطع الدلالات السياسية بالمذهبية، ويتحوّل الخبر التاريخي إلى نصٍّ يُنتج الشرعية بقدر ما يرويها.

الخاتمة: أظهرت هذه الدراسة أنّ كتابة تاريخ دولة بني حمّاد لم تكن مجرّد عمليةٍ معرفيةٍ محايدة، بل ممارسةٌ مشروطةٌ ببنية السلطة ورهاناتها الرمزية. فقد خضع التدوين التاريخي حول نشأة هذه الدولة لآلياتٍ إيديولوجيةٍ أعادت تشكيل الوقائع بما يخدم تصوّر كلّ طرفٍ للشرعية والهوية. وبينما عملت الروايات الباديسية على تأطير الماضي ضمن سرديةٍ مركزيةٍ تُكرّس استمرار الحكم الباديسي، سعت الروايات الحمّادية إلى تأسيس خطابٍ بديل يمنح شرعيةً تاريخيةً لدولةٍ ناشئةٍ خارج النسق السياسي القائم.

إنّ تحليل النصوص التاريخية من منظورٍ إبستيمولوجي، مستندٍ إلى مفاهيم فوكو حول إرادة الحقيقة وبورديو حول السلطة الرمزية، أتاح فهمًا أعمق لطبيعة العلاقة بين المعرفة والتاريخ والسلطة في الغرب الإسلامي الوسيط. إذ الخبر التاريخي، في ضوء هذه القراءة، لا يُعدّ وثيقةً عن الماضي فحسب، بل خطابًا يتقاطع فيه الوعي السياسي مع البنية المذهبية والاجتماعية. ومن ثَمّ، فإنّ تاريخ الحمّاديين زمن التأسيس يُمثّل نموذجًا دالًّا على كيفيات اشتغال الإيديولوجيا في إنتاج المعرفة، وعلى دور المؤرخ كفاعلٍ في صناعة المعنى لا مجرّد ناقلٍ له.

تُبرز نتائج البحث أنّ تغييب الدولة الحمّادية في المدونة التاريخية لم يكن ناتجًا عن فقرٍ في المصادر فقط، بل عن توازناتٍ رمزيةٍ ومعرفيةٍ تحكمت في ما يُقال وما يُحجب، وفق ما يسميه فوكو بـ«نظام الحقيقة». ومن ثمّ، فإنّ إعادة قراءة تلك المرحلة لا تقتصر على استرجاع الأحداث، بل تتطلّب مساءلة السياقات التي أنتجت سردياتها، بما يسمح بإعادة بناء تاريخٍ أكثر توازنًا وعدالةً تجاه التجربة الحمّادية في بعدها السياسي والحضاري والمعرفي.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إنّ ما خلصت إليه الدراسة يؤكد أنّ تجاوز القراءة التقليدية لتاريخ العصر الوسيط يمرّ عبر نقد شروط إنتاجه نفسها، وفهم العلاقة المعقّدة بين المؤرخ والسلطة والمجتمع. فالتاريخ لا يُكتب في فراغ، بل في فضاءٍ معرفيٍّ تتنازع فيه القوى والتمثّلات، حيث تصبح إعادة كتابة الماضي فعلًا لإعادة امتلاك الحقيقة.

المصادر والمراجع:

المصادر:

ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 272هـ/885م)، سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال، تح عارف أحمد عبد الغني، داركنان، دمشق، 1996.

ابن الأبّار أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658 هـ/ 1260م)، التكملة لكتاب الصلة، ط1، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1415/ 1995.

ابن الأثير علي بن محمّد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ/ 1233م)، الكامل في التاريخ، ط1، تح: محمّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407/ 1987.

ابن الأزرق أبو عبد الله شمس الدين محمد الغرناطي (ت 896هـ/1491م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: عليّ سامي النشّار، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العر اقية.

ابن الخطيب أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت 776هـ/ 1376م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من شجون الكلام، ط1، تح سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حزم أبو محمّد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت456 هـ/ 1064م)، رسائل ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء، ط2، تح إحسان عبّاس، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987.

ابن خلدون أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الحضرمي (ت808هـ/1405م)، العبرو ديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، 1421/ 2000.

ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (681 هـ / 1282 م)، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت 1397/ 1977.

ابن رشيق أبو الحسن علي بن الحسن القيرو اني (ت463 هـ/ 1070م)، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، ط1، تح محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية، تونس، 1406/ 1986.

ابن عبد الملك أبو عبد الله محمّد بن محمّد المرّاكشي (ت703 هـ/ 1304م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ط1، تح: إحسان عبّاس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، 2012.

ابن عذارى أبو العبّاس أحمد المرّاكشي (حيّا سنة 712هـ/ 1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تح: جون كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود (ت 732هـ/ 1333م)، المختصر في أخبار البشر، ط1، علّق عليه ووضع حواشيه: محمّد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424/ 1997.

الإدريسي أبوعبد الله محمّد بن محمّد (أنهى كتابه سنة 548 هـ/ 1153م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422/2002.

البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/ 1094م)، المسالك والممالك، ط1، تح: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب، 1992.

الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (764 هـ / 1362 م)، الوافي بالوفيات، ط2، باعتناء جاكلين سوبله، علي عمارة، دار صادر، بيروت، 1411/ 1991.

الغبريني أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 714 هـ/ 1315م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تح: عادل نويهض منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.

مؤلّف مجهول (أنهى كتابه سنة 710هـ/ 1310م)، مفاخر البربر، ط1، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، 2005.

النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب (ت 733هـ/ 1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، تح: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت.

ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/1228 م)، إرشاد الأريب إلى معرفة الاديب (معجم الأدباء)، ط1، تح إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

المراجع:

بغورة الزواوي، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

بن عربة محمّد، بوسالم أحلام، دور مدينة وارجلان في تجارة الرّقيق ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، م4، جامعة تيارت، 1(2021).

بن يحي مصطفى، بوشنافي محمّد، الغرب الإسلامي عند ابن الأثير في كتابه " الكامل في التاريخ": دراسة في المصادر والمنهج، مجلّة عصور الجديدة، م10، جامعة وهران01، 4(2020).

بوبيدي حسين، بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي: قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانية، م17، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية -قسنطينة، 1(2013).

دور المحور الأوسط من الطرق التجارية في التواصل الاقتصادي بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي، مجلّة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية قالمة، 16(2013).

جدلية السلطة والفلسفة في العصر الإسلامي الوسيط: إخوان الصفا أنموذجا، ط1، الدار المغربية، المغرب، 2018.

بوحجرة سماحي، المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط: الغزالي بين التزامات العالم وإلزامات السلطان، أطروحة دكتوراه فلسفة، كلّية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، 2016.

بورديو بيير، الرمز والسلطة، ط3، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال، المغرب، 2007.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية- جامعة وهران1
المجلد16- العدد1 (ماي) 1447هـ/2026م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
DOI: 10.54240/2318-016-001
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

التلّيسي بشير رمضان، الاتّجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجري-العاشر ميلادي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003.

رعد مريم، مساهمة ابن حمّاد الصنهاجي في كتابة التاريخ الحمّادي، م2، مجلّة العمران البشري، مخبر التاريخ المحلّي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة، جامعة البويرة، 2(2022).

سنينة محمّد، معيري هشام، محاولة في فهم سوسيولوجيا الهيمنة: قراءة في فكر بيير بورديو، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة البليدة 2، 17(2017).

عبد الوهّاب محمّد حلمي، ولاّة وأولياء السلطة والمتصوّفة في إسلام العصر الوسيط، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

عطيّة أحمد عبد الحليم، دريدا والفكر العربي المعاصر، ضمن كتاب: جاك دريدا والتفكيك، ط3، دار الفارابي، بيروت، 2010.

عمارة علاوة، ابن شدّاد الصنهاجي جامع أخبار المغرب الأوسط، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرّخين المغاربة، الرباط، 21(2002).

الرّقيق القيرواني وبلورة الفكر التاريخي ببلاد المغرب، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرّخين المغاربة، الرباط، 25(2003).

الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط، ضمن كتاب: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.

العيّادي عبد العزيز، ميشيل فوكو: المعرفة والسلطة، ط1، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1414/ 1994.

فوكو ميشيل، إرادة المعرفة، ترمطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، 1990.

الكلمات والأشياء، ترمطاع صفدي وآخرون، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1989، 1990.

كمال رمضاني، عبد المجيد عمراني، وائل حلاّق وإعادة قراءة فوكو في نظرية المؤلّف وجدلّية الخطاب والمعرفة، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، م10، جامعة تمنراست، 3(2021).

لقوس الطاهر عليّ، ملاّح أحمد، السلطة الرمزية عند بيير بورديو، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، 16(2016).

مجّاني بوبة، القيروان وفقهاء الدولة الحمّادية، ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ط1، المجمّع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، 2010، ج1.

محفوظ محمّد، تراجم المؤلفين التونسيين، ط 1، دارالغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج2.

مغشيش عبد المالك، أعلام المذهب المالكي وتآليفهم في القرن الرابع الهجري بالمغرب الكبير، م3، مجلّة الدراسات الإسلامية، جامعة الأغواط، 4(2014).

نصير محمّد، القطيعة الحمّادية للدولة الفاطمية: دراسة في الخلفيات السياسية والأبعاد المذهبية، م13، مجلة دراسات، جامعة قسنطينة 02، 2(2022).